٣- الفعل والعمل وهناك كلمتان في كتاب الله تعالى هما بحق مظهر من مظاهر إعجازه ، وأعني بهما : الفعل ، والعمل ، ويظهر أن الفرق بينهما من جهتين اثنتين : أما أولا : فان لفظ (عمل) يستعمل لما يمتد زمانه وأما لفظة (الفعل) فعلى العكس من ذلك ، فهو لما يكون دفعة واحدة . والاستعمال القرآني يؤيد هذا الفرق . والآيات الكريمة تشهد له خير شهادة قال تعالى { وعملوا الصالحات}) [البقرة : ٢٥] (يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل } [سبأ:١٣] { وقل اعملوا } [التوبة : ١٠٥] .

أما استعمال مادة الفعل ، فليس لها زمان مستمر ، وانما تحدث دفعة واحدة ، { ألم تر كيف فعل ربك بعاد } [الفجر : ٦] { ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) (الفيل : ١] { وفعلت فعلتك التي فعلت } [الشعراء : ١٩) .

وهذا الفرق هو الذي اقتصر عليه السيوطي - رحمه الله تعالى - وهناك فرق آخر لا يقل عنه دقة وروعة . وهو ما ذكره الراغب – رحمه الله تعالى - حيث قال : " العمل : كل فعل يكون من الحيوان بقصد ، فهو أخص من الفعل لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد ، وقد ينسب الى الجمادات، ولم يذكر الراغب – رحمه الله - من الآيات ما بعد تطبيقاً لهذا الفرق وهو ما سنذكره بعون الله فالمتأمل في الذكر الحكيم يجد ما يطمئن به قلبه ، وتطيب به نفسه ، قال تعالى في سورة النور : { ألم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون] [الآية : ٦١] وقال تعالى في سورة الأنبياء : { قال بل فعله كبيرهم هذا } [الآية : ٦٣] ، وفي سورة الإنفطار . فالفعل أسند إلى الحيوان من طير وغيره في الآية الأولى ، وإلى الجماد في الآية الثانية .

٤- ومن هذا القبيل كلمتا : القعود والجلوس . والمتأمل لآي القرآن الكريم ، يجد القعود إنما يستعمل لما فيه لبث ومكث ، أما الجلوس فيستعمل فيما ليس كذلك . قال تعالى { والقواعد من النساء}[النور : ٦٠]{ وقيل اقعدوا مع القاعدين }[براءة :٤٦][في مقعد صدق عند مليك مقتدر } [القمر : ٥٥] ،

أما مادة : جلوس ، فلم تأت إلا في قوله تعالى { إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم } المجادلة : ١١] . وهذه المجالس عادة لا يطول : المكث

فيها ومنه الحديث الشريف « مثل الجليس الصالح وجليس السوء » والحديث الآخر « إياكم والجلوس على الطرقات » متفق عليهما.

٥ ـ الاعطاء والإيتاء : رغم ما بين هاتين الكلمتين من تشابه في اللفظ ، فبينهما فروق ، ويشهد لذلك الاستعمال القرآني ، فما هي الفروق بين الإيتاء والإعطاء يا ترى ؟ . ينقل الزركشي في البرهان عن الجويني ـ رحمهما الله تعالى ـ أن الإتيان أقوى من الاعطاء في اثبات مفعوله . وهناك فرق آخر بين الاعطاء والايتاء ، وهو أن الاعطاء انما يكون على جهة التمليك ، قال تعالى { هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب } [ص : ٢٩] وقد لا يكون الايتاء على جهة التمليك . وفرق ثالث : وهو أن الايتاء لا يكون إلا للشيء الكثير ، والعظيم الشأن وقد يكون الاعطاء للقليل ، قال تعالى { أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى}[النجم : ٣٣ ، ٣٤] . ويمكننا أن نتدبر الآيات القرآنية على ضوء هذه الفروق التي ذكرناها ، وأول ما يخطر للفكر معرفته ليلمح فيه الفرق بين هاتين الكلمتين قوله سبحانه { وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة } (النور : ٥٦] وقوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون } [التوبة : ٢٩] فانظر كيف عبر عن كل من الزكاة والجزية ، ففي جانب الزكاة استعملت كلمة الإيتاء فيمكن أن نلمح الفروق التي ذكرناها من قبل ، فهي عطاء على سبيل

التمليك من جهة ، وهي أكثر قوة في إثبات مفعولها كذلك ، لأن المؤمنين يخرجونها خالصة من قلوبهم ، ولا كذلك الجزية ، ولقد استعمل الايتاء كذلك بجانب الملك والحكمة ، قال تعالى { قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء } (آل عمران :٢٦] وقال تعالى { يؤتي الحكمة من يشاء } [البقرة : ٢٦٩] . {وآتيناه الحكم صبيا] [مريم : ١٢] [وآتيناهم ملكا عظيماً } [النساء: ٤٥]. أما الإعطاء ، فيكفي أن نقرأ فيه هذه الآية { ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون } [التوبة : ٥٨] ، واعطاء المنافقين لا لكونهم يستحقونه ، يقول الرسول عليه الصلاة والسلام (أني لأعطي الرجل وغيره أحب ألي منه) (١) وقد يتساءل بعضكم : ماذا تقول في قوله تعالى { إنا أعطيناك الكوثر } [الكوثر : ١] (ولسوف يعطيك ربك فترضى } [الضحى : ٥

) . والجواب عن ذلك ،. أن هذا الذي أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم ، هو قليل في حقه ، وهو قليل كذلك إذا قيس إلى ما هو أعظم منه .

٦- السنة والعام : ونقرأ في كتاب الله تعالى آية ذكر فيها كلمتان اثنتان جاءت كل في موضعها لا أقول الذي يناسبها فحسب ، ولكن أقول الذي لا يناسبها غيره ، قال تعالى في سورة العنكبوت (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً) [اية : ١٤] . واذا تأملنا كل كلمة على حده نستنتج أن هناك أكثر من فرق بينهما

فالسنة : تلقي من منطوقها ظلال الشدة والقحط والصعوبة ، والعام : على العكس من ذلك ، قال تعالى { ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون } [يوسف : ٤٩] .. فالسنة تدل على القحط ، والعام يدل على الرخاء . وهناك فرق آخر وهو أن السنة تستعمل أكثر ما تستعمل في السنة الشمسية على حين يستعمل العام للقمرية.

٧- الحمد والشكر : بدأ الله كتابه بقوله { الحمد لله رب العالمين } ، ولقد ذكرت هذه الجملة (الحمد لله) مرات عديدة فاتحة لسور عديدة ، ولكن كلمة الشكر ذكرت أكثر من كلمة الحمد ، قال تعالى { فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون } (البقرة : ١٥٢] { وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم } [ابراهيم : ٧] { رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي } [النحل : ١٩]

ذهب بعض المفسرين إلى أن الكلمتين ذواتا معنى واحد ، والمحققون ذهبوا غير هذا المذهب .

وإذا كان من فرق بين الحمد والشكر فإن الحمد يكون باللسان ، أما الشكر

فلا يختص به اللسان وحده ، وإنما يكون بالقلب والجوارح .

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا وهناك فرق آخر بين الحمد والشكر ، وهو أن الشكر لا يكون إلا مقابل نعمة أما الحمد فإنما يكون لأي شيء حسن ، فأنت قد تحمد إنسانا لشجاعته أو كرمه دون أن ينالك منه شيء ، ومن أجل هذا اختيرت كلمة (الحمد) في فاتحة الكتاب العزيز.

٨- وهاتان كلمتان استعملنا في كتاب الله تعالى ، وهما كلمتا : شك وريب والعجب كل العجب من الذين يحتجون على وجود الترادف في اللغة بقولهم : لو لم يكن هناك ترادف ما صح أن نفسر : الريب بالشك وإنما نعجب من أمره لأننا لا ندري كيف يفسر الريب بالشك ، واستعمال القرآن شاهد لما بينهما من فرق ، بل فروق ، فالقرآن الكريم ينفي الريب دائماً عن القضايا الكبرى كالكتاب والساعة ، كما أنه ينفيه عن المؤمنين في جميع أحوالهم { ذلك الكتاب لا ريب فيه } [البقرة: ٢] ، { وأن الساعة آتية لا ريب فيها }[الحج : ٧] . « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا » [الحجرات: ١٥] ، « ولا يرتاب الذين أتوا الكتاب والمؤمنون » [المدثر : ٣١) .

وهذه الآيات الكريمة تجعلنا غير مترددين في أن الريب شيء أكثر من الشك . فالريب يتم عن القلق في النفس وما يختلج فيها من أسباب الغيظ ، ومن تهم تنافي الطمأنينة ، وهذا بعيد عن ساح المؤمنين ، فضلا عن قلبه الشريف - ﷺ - لذلك حيل بينه وبين أن يسند إليه الريب . أما الشك فمع بعده عنه - ﷺ - إلا أن الشك ليس فيه ما في الريب من محاذير ، ذلك أنه أي الشك تردد بين شيئين

وفي التنزيل آية جمعت الكلمتين معا ، وتدبرها يدل على ما بينهما من بون شاسع قال تعالى في سورة المؤمن وهو يحكي لنا خطاب هذا المؤمن الذي سميت السورة باسمه وقوله لآل فرعون ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤] ، وترى من السياق الكريم الفرق الشاسع بين الكلمتين حيث جاءت كلمة الشك مطلقة دون وصف ، لا يفهم منها أكثر من ترددهم فيما جاءهم به عليه السلام ، أما كلمة مرتاب المشتقة من الريب فقد ذكرت مقترنة بالاسراف والاضلال ، إلى غير ذلك من الأوصاف التي تنم عن سوء أولئك الذين استقر في قلوبهم الريب ، ولو أننا وقفنا مع الآيات القرآنية التي ذكرت فيها إحدى هاتين الكلمتين لوجدنا أن كل كلمة لا يمكن أن تصلح مكان أختها

٩ - اللوم والتثريب والتفنيد : في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام جاءت هذه الكلمات الثلاث ، وهي متقاربة من حيث المعنى ، مما جعل بعض المفسرين يفسر

بعضها ببعض ، فيقول في قوله سبحانه ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف: ٩٤] ، لولا أن تلومون . ولكن الدقة والإحكام في استعمال الكلمات القرآنية ، يحتمان علينا أن نقف مع هذه الكلمات ، وأن ننظر إلى السباق الذي جاءت فيه كل منها ، فاللوم وهو العذل - ولعله أشدها وأقواها وأكثرها قسوة - جاء من امرأة العزيز ردا على النسوة ، وقد لاكتها ألسنتهن بكل قسوة وفظاعة ، وانتشر حديثها بينهن ، ﴿وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٠-٣١] وكان ما حدثنا القرآن الكريم عنه ، ثم قالت لهن ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ ﴾ [يوسف: ٣٢] ، فجاءت كلمة اللوم هنا مستقرة في موضعها أصيلة في مكانها الذي استعملت فيه لايسد عنها غيرها . أما الكلمة الثانية وهي كلمة التثريب ، فلقد جاءت حديثا من يوسف عليه الصلاة والسلام لإخوته بعد أن ظهرت لهم الحقيقة ، وشعروا بالذنب ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩١-٩٢] .

فانظروا إلى سياق هذه الكلمة في كتاب الله ، فلم يقل لا لوم عليكم ، كما جاء في الآية السابقة ، واستعمال هذه الكلمة يدلنا على ما أكرم الله به نبينا يوسف عليه الصلاة والسلام من حسن الخلق ، فهو يقول لهم « لا عتب وتأنيب ، دعوا ما مضى ، ولا تؤنبوا أنفسكم بما كان منكم ، فلا تثريب عليكم اليوم ، فكلمة التثريب هنا لا تسد مسدها كلمة أخرى . أما الكلمة الثالثة وهي التفنيد ، فقد ذكرها القرآن الكريم حديثاً عن يعقوب عليه الصلاة والسلام ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف: ٩٤] ومع أن بعض المفسرين فسرها بقول " لولا أن تلومون " ولكن استعمال القرآن الكريم لها في هذا الموضع يجعل لها كيانها الخاص وظلالها الخاصة كذلك ، فالتفنيد هنا ليس اللوم ، وإنما أصله الإفساد ، قال الراغب " التفنيد : نسبة الإنسان إلى الفند وهو ضعف الرأي.